منظمة التحرير الفلسطينية
التطور، وصراع الارادات

سميح شبيب

في اعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة، شرعت الدول العظمى في وضع اللمسات النهائية وإقرار خارطة سياسية ـ جغرافية جديدة للعالم املتها موازين القوى التي افرزتها الحرب، وذلك في مؤتمر يالطا الذي عقد في العام ١٩٤٥. ولم تكن فلسطين والمناطق المحيطة بها، في الواقع، بمنأى عن تلك اللمسات. فوفقاً لموازين القوى الجديدة أُضفيَت على اسرائيل الشرعية السياسية الدولية قبل أن يتم انشاؤها في أعقاب قرار تقسيم فلسطين من قبل الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧؛ وبذلك وُجدت اسرائيل سياسياً ولم يبق أمامها سوى حل المسألة الجغرافية التي سرعان ما تم انجازها. ولعله كان للعوامل الذاتية، العربية والفلسطينية، خلال تلك الفترة الحاسمة من حياة الحركة الصهيونية وحياة منطقة الشرق الأوسط، بالغ الأثر في ولادة دولة اسرائيل. ففي حين كانت الدول العربية المحيطة بفلسطين تركز جهودها للتخلص من الانتداب ونيل الاستقلال بأي شكل، كان الحاج محمد أمين الحسيني، بوصفه الزعيم السياسي، والروحي، للشعب الفلسطيني يعلق جلّ آماله السياسية على الموقف العربي الرسمي، شأنه في ذلك شأن القادة الفلسطينيين الآخرين.

إلا أن الآمال سرعان ما تبدد بريقها. فالاستقلال العربي، بمعناه الجغرافي ـ السياسي، جاء، كما اسرائيل، نتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية وتكريساً لواقع التجزئة. بمعنى، أن ما تمت تسميته باستقلال الأقطار العربية، أو باستقلال الدولة العبرية، لم يكن، في واقع الحال وطبقاً للأطر الاقليمية والموازين الدولية التي تحكمه، إلا خطوطاً موضوعة في تقسيم خارطة المشرق العربي وفق معطيات حجوم القوى وفاعلياتها التي كان أول افرازاتها المباشرة نشوء كيانات في المنطقة على حساب مشروع الكيان الفلسطيني.

وفي هذا السياق التاريخي ـ السياسي، يمكن القول أن ما حدث في فلسطين، في الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨، لم يكن ضرباً من ضروب التآمر، بل محصلة للوقائع كافة متسقة